[المجلس الثاني]

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أما بَعْدُ؛

فمعاشر الإخوة نواصل شرحنا لكتاب اعتقاد أهل السنة للإمام الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المُسْلِمِيْنَ. وقد وقفنا عند قول الإمام رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ويثبتون أن له وجهًا وسمعًا وبصرًا وعلمًا وقدرة). وقفنا عند هٰذَا، فأهل السنة والجماعة قاطبة يثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ القدرة التامة، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد تقدم تقرير هٰذَا.

(وقوة) أهل السنة والجماعة يثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ القوة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الرزاق ذو القوة المتين، فهو صاحب القوة الذي لا يلحقه ضعف، ولم يسبق قوته ضعف، ولا يعتري قوته ضعف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فربنا سُبْحَانَهُ قوي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضائه راد، ولا يفوته شيء. وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتين، والمتين هو شديد القوة الذي لا تنقطع قوته أبدًا، ولا تلحقه مشقة فلا يعنته شيء، فالمتين وصفٌ متعلقٌ بالقوة.

قَالَ: (وعزة)؛ فأهل السنة والجماعة يثبتون لله العزة، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عزيز، له العزة فلا أعز منه ولا نظير له، فله عزة القدر. وهو القاهر فوق عباده، والغالب الذي لا يغلبه شيء، فله عزة القهر. وهو سُبْحَانَهُ الذي لا يلحقه نقص ولا سوء، وهو المعز لأوليائه، شديد الانتقام من أعدائه، فلا يعز إلا الله، ولا يذل إلا الله، وإذا أيقن المؤمن من هذا كان عزيزًا؛ لأنه يوقن أن العزيز من أعزه الله، وأن الذليل من أذله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وأصل العزة الشدة والقوة والغلبة والامتناع، ولذلك أهل العلم يقولون: (لله عزة القدر، وله عزة القهر، وله عزة الامتناع) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وكلامًا) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متكلم، ويتكلم متىٰ شاء بما شاء، فكلامه قديم النوع حادث الآحاد، كلم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلم محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلام الله يُسمَع. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة: ٦]، والكلام الذي يُسمع ليس هو الذي في النفس،

وإنما كلامٌ له صوت وله حرف، والله تكلم بالقرآن حقيقة، وسيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ الكلام عن القرآن وأنه كلام الله.

قَالَ: (لا علىٰ ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم) يعني كالذين يقولون: حكاية عن كلام الله؛ ليس كلام الله وإنما حكاية عن كلام الله. أو يقولون: عبارة عن كلام الله؛ فإنهم زاغوا عما دلت عليه النصوص، وأجمع عليه أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

قَالَ: (ولكن كما قال تعالىٰ: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧] وقال: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} [النساء: ١٦٦]) هنا العلم، في الأولىٰ الوجه -كَمَا تَقَدَّمَ-، وفي الثانية العلم.

قَالَ: (وقال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: ٢٥٥]) هنا إحاطة علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يحاط بعلمه.

(وقال: {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: ١٠]) هذه العزة. (وقال: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات: ٤٧]) ما هذا يا إخوة؟ هذه القوة، (بأيد) يعني بقوة، فالإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ أورد هذه الآية للتدليل علىٰ القوة، فمعنىٰ (خلقناها بأيدٍ) خلقناها بقوة، فـ (أيدٍ) هنا ليست جمعًا لـ (يد)، وإنما الأيد في لغة العرب القوة، يقال: رجل أيدٌ؛ أي رجل قوي. قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: (وزعم بعض الجهلة أن معنىٰ (خلق الله آدم بيديه) أي بقوته، وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمىٰ الأيد، وفرق بين اليد والأيد). ثم قال كلامًا، فَقَالَ: (فمن لا يفرق بين الأيد والأيدي) فمن لم يفرق بين الأيدِ بكسر الدال، والأيدي بالياء (فهو إلىٰ التعليم والتسليم إلىٰ الكتاتيب أحوج) التسليم إلىٰ الكتاتيب معلوم أن الذي يدرس في الكتاتيب هم الأطفال الذين لا يعرفون شيئًا، فيقول هذا لا يستحق أن يتكلم في العلم، هذا ينبغي أن يُعاد تعليمه من اَلْأَوَّلُ، من الأصل، بأن يُسلم إلىٰ الكتاتيب.

(وقال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فصلت: ١٥] وقال: {إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨]). (فهو تعالىٰ ذو العلم، والقوة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام) فأهل السنة والجماعة يثبتون الأسماء وما تتضمنه من الصفات، ويصفون الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا، بخلاف غيرهم مثلًا الذين يقولون: عليم بلا علم. ثم متأخروهم أرادوا أن يتحذلقوا

ليتخلصوا من قبح كلام متقدميهم فقالوا: عليم لا يجهل؛ فلم يثبتوا العلم لكن نفوا الجهل. الأولون نفوا العلم، قالوا: عليم بلا علم؛ هذا الكلام قبيح جدًّا. فالمتأخرون منهم أرادوا أن يتخلصوا من قبح كلام متقدميهم، ففروا بشيء لا ينفعهم شيئًا، فقالوا: عليم لا يجهل؛ فلم يثبتوا له العلم وإنما نفوا الجهل.

(كما قال تعالىٰ: {وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي} [طه: ٣٩] {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [هود: ٣٧]) عقيدة أهل السنة والجماعة التي يتفقون عليها وأجمع عليها سلف الأمة أن لربنا سُبْحَانَهُ عينين كما يليق بجلال وكمال وجمال ربنا، لا تُكيفان ولا تُشبهان لهذه الآيات التي ذكرها الشيخ الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. فيقل قائل: في الآية الأولىٰ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وَهَذَا مُفْرَد؛ نقول إن المفرد يطلق ويُراد به الاثنان، المطلق أو المفرد المضاف لا يدل علىٰ الوحدة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ﴾ [النحل: ١٨]، النكرة إذا أضيفت تكتسب التعريف والتعميم، فتصبح معرفة ودالة علىٰ العموم. وفي استعمال الناس قد يقول أحد لآخر: أعطني كذا؛ فيقول: من عيني؛ هل المراد من عين واحدة؟! هكذا في الاستعمال؛ المفرد يطلق ويراد به الاثنان، فيقول قائل: في الآية الثانية جمع، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] فلماذا لا نقول إن لله عيونًا؟ لماذا يقول السلف وقد أجمعوا علىٰ هذا ونحن علىٰ هذه العقيدة أن لله عينين؟ نقول لأن الجمع يطلق ويراد به الاثنان، كما في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَىٰ اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، لو لم يكن الجمع يدل علىٰ الاثنين لكان هذا تناقضًا، (قلوب) جمع، (قلوبكما) تثنية، لكان الجمع بين الجمع والتثنية تناقضًا، وهذا لا يكون في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ لا يَخفَىٰ عليْكُم، إنَّ اللهَ ليسَ بأعْوَرَ - وأشَارَ بيَدِهِ إلىٰ عَيْنِهِ - وإنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَىٰ» رواه البُخَارِيّ، فدل هذا علىٰ أن لله عَزَّ وَجَلَّ عينين. ونعلم يا إخوة -هذه قضية مهمة جدًّا- أن إجماع السلف حجة، يعني إذا جاءك إجماع السلف إن عرفت الدليل فهذا نور علىٰ نور، وإن لم تعرف الدليل فإجماع السلف حجة، والخلاف الحادث بعد إجماعهم بدعة؛ هذه القاعدة، إجماع السلف حجة. ولذلك بعض إخواننا يخطئ ويقول أنا أبحث عن الدليل، وإذا لم أجد دليلًا فإني أسكت؛ ما أجمع عليه السلف دليله

فيه، وهو إجماع السلف، يعني يأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ في الميزان أن له لسانًا، أجمع السلف علىٰ أن للميزان لسانًا. بعض طلاب العلم يأتي ويقول أنا بحث وما وجدت دليلًا، أنت ما عرفت الأدلة، لو عرفت الأدلة لأدركت أن إجماع السلف دليل، إجماع السلف من أقوىٰ الأدلة؛ لأن الإجماع يتضمن الدليل، وأغنانا الإجماع عن البحث عن الدليل؛ لأنه ما دام أنه أجمع علىٰ دلالته فهو دليل قطعي وقطعي الدلالة، ما يحتاج أن نبحث عنه، لكن إن وجدنا الدليل فذاك خير، وهذه قضية يا إخوة مهمة جدًّا في التعامل مع كلام السلف؛ إجماع السلف حجة واجبة الاتباع، والخلاف بعد إجماعهم بدعة واجبة الاجتناب.

(وقال: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤])هذا في كلام الله، (وقال: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]) هذه في الكلام. قَالَ: (ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: (ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون) ، كما قال تعالىٰ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ} [الإنسان: ٣٠]) وهذا الكلام من الإيمان بالقدر، وهذه مرتبة من مراتب القدر، فمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ نافذة، ولا يكون شيء في كون الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما شاء كان ونفذ، والعباد تحت مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولهم مشيئة لا تخرج عن مشيئة الله، وهذه المشيئة يرادفها أو ترادفها الإرادة الكونية القدرية التي لا يخرج عنها شيء، فيدخل فيها ما يحبه الله ويدخل فيها ما يبغضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وحتىٰ يسير المسلم في باب القضاء والقدر سيرًا حسنًا ينبغي عليه أن يسير علىٰ أصول عظيمة قررها أهل السنة وَالْجَمَاعَة، من فهمها ارتاح في مسألة القدر، وارتاح بالقدر، وارتاحت عيشته، واطمئن قلبه.

الأصل اَلْأَوَّلُ: أن القدر سر الله، أطلع الله عَزَّ وَجَلَّ منه عباده علىٰ ما يصلحهم وأخفىٰ عنهم ما تقتضي الحكمة إخفاءه، فما دام ذلك كذلك فينبغي للعبد أن يقتصر فيه علىٰ ما ورد في النصوص بفهم السلف الصالح ثم يمسك عما زاد، ولذلك قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ذُكر القدَرُ فأَمسِكوا» أي إذا خاض الناس في القدر بغير نور الكتاب وَالسُّنَّة، إذا خاض الناس في القدر بغير نور الكتاب والسنة فأمسكوا ولا تخوضوا معهم فيما يخوضون. هذا الحديث رواه الحافظ الصنعاني في الأمالي، والطبراني في الكبير، وذكر في السلسلة الصحيحة الإمام الألباني أن

أسانيده يشد بعضها بعضًا. هناك مسائل يحدثها الناس لم يتكلم فيها السلف، ولا ينبغي أن يُخاض فيها، مثل المسألة التي أشغلوا بها الناس هل الإنسان مسيّر أو الإنسان مخيّر، من آمن بالقضاء والقدر علىٰ نور الكتاب والسنة أدرك حقيقة هذه المسألة من غير خوض، فيها ومن غير هذه الحيرة التي وقع فيها الناس الذين لم يستنيروا بنور الكتاب وَالسُّنَّة.

الأصل الثَّانِي: الذي يجب اصطحابه في باب القضاء والقدر هو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدل لا يظلم الناس شيئًا، ومن ذلك أنه لا يظلم الناس في قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فوالله ثم والله ثم والله لو أن الله عَزَّ وَجَلَّ ابتلىٰ الناس جميعًا ما كان ظالمًا لهم مقدار ذرة، ولو أن الله سُبْحَانَهُ عذب أهل السماوات والأرض ما كان ظالمًا لهم مثقال ذرة. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدل، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]. إذًا عندما تنظر إلىٰ القدر فاصطحب هذه العقيدة الراسخة، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدل، فهذا يدفع عنك الشبهات في هذا الباب العظيم.

الأصل الثَّالِث: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكيم له الحكمة التامة، له الحكمة البالغة في شرعه، والحكمة التامة في قدره، فما من أمرٍ قدري إلا وفيه حكمة تامة، وما من أمر شرعي إلا وفيه حكمة بالغة، لا يفعل ربنا شيئًا عبثًا، ولا يشرع ربنا شيئًا عبثًا، فإذا مضىٰ القدر بشيء فاعلم يقينًا بعد أن علمت أنه عدل اعلم يقينًا أن فيه الحكمة. وإذا قصر فهمك عن الحكمة فاتهم فهمك وعلمك، وإياك أن تتهم ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأصل الرَّابِع: أن الله لكمال علمه وتمام عدله وكمال حكمته لا يُسأل عما يفعل كما تقدم معنا.

الأصل الخَامِس: أن يؤمن العبد أن الله علىٰ كل شيء قدير، ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (القدر قدرة الله).

الأصل السَّادِس: أن يوقن المؤمن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وهذا هو الإيمان، وهذه عقيدة المؤمن في ربه، وقد وردت أدلة كثيرة علىٰ هٰذَا. والإيمان بالقدر –

كما هو معلوم- ركن من أركان الإيمان. والقدر له أربع مراتب، من عرفها عرف القدر واطمأن قلبه، واندفعت عنه الشبهات:

المرتبة الأولىٰ: العلم؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكل شيء عليم، علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. والله إن ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علم في الأزل أني سأرفع أصبعي، والله إنه علم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عِلِمَ الخلق، وعلم أحوالهم، وعلم أعمالهم، وعلم من يستحق الهداية منهم، ومن يستحق الضلال منهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المرتبة الثانية: الكتابة؛ أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر القلم فكتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق المبنية علىٰ علمه، وقد جمع الله هاتين المرتبتين في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: المشيئة؛ فقد شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون في ملك ربنا إلا ما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ومشيئته نافذة وقدرته شاملة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما من حركة في الكون إلا وهي بمشيئة الله، وما من سكون في الكون إلا وهو بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المرتبة الرابعة: الخلق؛ أي أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق كل شيء، فالله خالق كل شيء، خلق العباد وخلق أفعالهم، والعباد فاعلون حقيقة كما سيأتي هنا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذه المراتب الأربع من أدركها آمن بالقدر حقًّا، ولم يقع في نفسه شيء من الحيرة أبدًا، مع العمل بالأصول التي ذكرناها، ففيها الإيمان وفيها الأمان، فيها الإيمان وصحة الإيمان بالقضاء والقدر، وفيها الأمان من الزلل، فيها الأمان من الزلل.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ويقولون لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله ولا أن يبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يُغلَب) تقدم ما يتعلق بهذا عند الكلام عن علم الله ومشيئة الله، لكن أُنبه إلىٰ جملة، وهي أن المُعتزلة يقولون إن الله عالمٌ لا يجهل، فلا يثبتون العلم وينفون الجهل، وليس هذا مراد الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ هنا، وإنما مراده

أن كل شيء إنما يقع بعلم الله ومشيئته، وإلا لانقلب العلم جهلًا، والمشيئة عجزًا، وهما محالان، تَعَالَىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قَالَ: (ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق) القرآن كلام الله، فهو صفة من صفات الله، ولذلك يا إخوة لو سألكم سائل وقال: هل يجوز أن أقول: والقرآن إنه كذا...؟ هل يجوز أن أحلف بالقرآن وأقول والقرآن إنه كذا؟ ما الجواب؟ يجوز؛ لأن القرآن كلام الله، فأنت تحلف بصفة من صفات الله. طيب لو قال لك: هل يجوز أن أقول والمصحف إنه كذا؟ الجواب لا يجوز، وسيأتي الكلام بعد قليل. طيب لو قال قائل: هل يجوز أن أقول ورب القُرْآن؟ لا ما يجوز؛ لأن القرآن صفة الله. لكن هل يجوز أن أقول: ورب المصحف؟ يجوز. فالقرآن صفة الله عَزَّ وَجَلَّ وكلام الله أعم من القُرْآن، لكن القرآن كلام الله، فالقرآن من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصفات الله غير مخلوقة، فالقرآن غير مخلوق كما أجمع عليه السلف. وقال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فجعل الخلق شيئًا والأمر شيئًا آخر، وإذا نظرنا إلىٰ القرآن وجدناه في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، فالقرآن من أمر الله، والأمر غير الخلق، إذن القرآن غير مخلوق، وَهذا ما عليه الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم أجمعون، وعليه السادة التابعون، وأئمة المسلمين كالأئمة الأربعة، وقد نص أئمة الإسلام علىٰ حرمة القول بخلق القُرْآن، حيث جاء ذلك نصًا عن ٥٥٠ عالم من علماء الإسلام، قالوا أنه من قال بخلق القرآن فهو كافر، ذكر أكثرها الذهبي في سير أعلام النبلاء، فالسلف مطبقون علىٰ حرمة القول بخلق القُرْآن، وأنه من الكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ. وقول أئمة المسلمين القرآن كلام الله غير مخلوق فيه أن القرآن كلام الله لا كلام غيره، لا كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا كلام الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن غير الله مخلوق، وكلام الله غير مخلوق.

قَالَ: (وإنما كيفما يصرف بقراءة القارئ له، وبلفظه، ومحفوظا في الصدور، متلوًا بالألسن، مكتوبًا في المصاحف، غير مخلوق) قال السلف عبارة جميلة قصيرة مفيدة نافعة، قالوا: (الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري) فالسلف متفقون علىٰ ما اتفق عليه العقلاء من أن الكلام كلام من قاله ابتداءً لا كلام من بَلَّغَه ولا كلام من قرأه. الآن يا إخوة أنا أقرأ لكم اعتقاد أهل السنة

والجماعة للإسماعيلي، هل يفهم عاقل منكم أن هذا كلامي أنا؟ قطعًا لا، أنا أقرأه وأنتم تسمعونه مني ولكنكم تعتقدون جميعًا أنه كلام الإسماعيلي، ولا يوجد عاقل يقول قال لنا الشيخ سليمان اليوم ويذكر نص كلام الإسماعيلي، فهذا يتفق عليه العقلاء قاطبة من المسلمين وغير الْمُسْلِمِيْنَ، أن الكلام كلام قائله لا كلام مبلغه ولا كلام قارئه، وإن كان قد يطلق فيقال إنه قول فلان باعتبار أنه بلغه كما في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، ليس المقصود أنه كلام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن المقصود أنه بلغه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالقرآن كلام الله، عندما يتلوه التالون فهو كلام الله، وعندما يُحفظ في الصدور فهو كلام الله، وعندما يُكتب في السطور فهو كلام الله، وعندما يُسمع فهو كلام الله؛ هذا الذي أجمع عليه السلف ودل عليه القرآن وَالسُّنَّة.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: (ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن، فهو قد قال بخلق القرآن) يا إخوة لما كان قول القائل: اللفظ بالقرآن مخلوق؛ أو قول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق؛ محتملًا لمعنيين أحدهما باطل والآخر صحيح، ولما كان ذلك كذلك فإن السلف ينهون عن الإطلاق ويفصلون، فيقولون إن أراد: ملفوظي؛ أي ما تلفظت به فهذا هو القول بخلق الْقُرْآن، وهذا قاله بعض القائلين بخلق الْقُرْآن، وهي حذلقة، فقال بعضهم: القرآن غير مخلوق واللفظ مخلوق؛ ويريدون باللفظ الملفوظ؛ هذا قائل بخلق الْقُرْآن، كما قاله الإسماعيلي نقلًا عن أهل السنة وَالْجَمَاعَة. وإن أراد صوته، وأراد أن صوته مخلوق؛ فهذا صحيح، ولما كان محتملًا فإن علماء أهل السنة والجماعة يرون اجتناب هذا الكلام المحتمل في مثل هذه المسألة العظيمة، وأن يُعبر بالكلام الواضح البيّن، ومثل هذا الكلام ليس من كلام السلف، مسألة اللفظ ليست من كلام السلف؛ لأن الأمر كان عندهم واضح جدًّا، ولم يقل أحد من السلف إن أصوات العباد بالقرآن قديمة أو ليست مخلوقه، بل كان الإمام أحمد يضلل ويبدع من يقول هٰذَا.

وقول المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (مكتوبًا في المصاحف غير مخلوق) رد علىٰ القائلين بأن الذي في المصحف مداد وورق وأما الكلام فهو عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله؛ فهذا يخالف الحقيقة ويخالف إجماع السلف، وهو بدعة محدثة. كلام السلف محكم ومتقن، ولا تجد فيه هذه الاحتمالات الواردة علىٰ ما أحدثه المتأخرون؛ لأن كلام السلف مبني علىٰ الكتاب وَالسُّنَّة،

ولذلك يا إخوة والله إن أكثر مشاكلنا -حتىٰ بعض الخلاف الذي يقع بين السلفيين- بسبب استخدام عبارات لم يستخدمها السلف في مسائل تكلم عنها السلف. يا أخي قل ما قاله السلف واسكت، هذه التعبيرات الجديدة المحتملة تجعل كل واحد يفهم شيئًا ثم نختلف، ثم نتراشق، ثم نتباعد، ثم تضعف الدعوة السلفية، ثم بدل من أن نعلم الناس التوحيد والسنة ننشغل بأنفسنا في عبارات ما كنا نحتاج إليها في مسائل الإيمان، نقول ما قاله السلف كما سيأتي، الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ ونجتنب مسائل شرط كمال وشرط صحة؛ هذه ما كانت في لسان السلف، ولما خضنا فيها تسبب ذلك في خلاف كثير؛ لأن الألفاظ يدخلها الاحتمال، وأبعدتنا عن الفهم الصحيح لكلام السلف أحيانًا.

هكذا أيضًا في طاعة ولي الأمر، قل: نسمع ونطيع لولي الأمر في غير معصية الله، بارًا كان أو فاجرًا؛ ما يحتاج تأتي تقول: ولو زنا ولو سرق.. لماذا! ما كان السلف يقولون هذا ولا ورد في النصوص، بل هذا الكلام يقبح كلامك عند العامة، عندما تأتي للعامي وتقول: اسمع وأطع لولي أمرك وإن زنا؛ وقعه قبيح ولو كان صحيحًا. لكن لو لزمنا عبارات السلف: نسمع ونطيع لولي أمرنا في غير معصية الله؛ ما أجملها! في غير معصية الله هذه تريح القلب ولا تدخلك في عبارات ينفر منها الناس، وأيضًا قد تفهم علىٰ وجه الخطأ.

الشاهد يا إخوة -والله نصيحتي- نلزم منهج السلف فعلًا ولفظًا، نلزم كلام السلف، نتجنب كثيرًا من الكلام الذي أحدثه المتأخرون وفيه حق إن فُسر بمعنىٰ وفيه باطل إن فُسر بمعنىٰ.

قَالَ: (ويقولون إنه لا خالق علىٰ الحقيقة إلا الله عز وجل، وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله) نعم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق العباد وأفعالهم، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ [فاطر: ٣]، الذين يقولون إن العباد يخلقون أفعالهم أثبتوا خالقًا غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقد أفاض أهل السنة والجماعة في ذِكر الأدلة علىٰ ذلك، حتىٰ أبلغها بعضهم ألف وجه من الكتاب وَالسُّنَّة، ومع ذلك فأفعال العباد كسب لهم، بصالحها يُمدحون وبسيئها يُذمون، إذ هم لها فاعلون حقيقةً، وتُسند إليهم عند جميع العقلاء، أخونا استأذن؛ كل واحد يقول

استأذن فلان، ويُسند إليه فعله. عند العقلاء؛ من عمل خيرًا مُدح به ومن عمل شرًا ذُم به. أنت في نفسك لو أن واحدًا فعل شيئًا ينفعك أنت لقلت له جزاك الله خيرًا، وفعلك هذا لن أنساه، ولو أنه فعل شيئًا يضرك لقلت له أنت فعلت ما يضرني، أنت أضررت بي؛ وهذا يتفق عليه العقلاء.

فكلكم مثلًا يقول: قرأ سليمان؛ كلكم تقولون هٰذَا، ولا يوجد واحد منكم يقول له لا! كيف قرأ سليمان؟! ليس سليمان الذي قرأ، لو عطس أحدنا نقول عطس فلان، لو نام واحد أثناء الدرس نقول نام فلان.

بالمناسبة مرة كنت أُدرِّس الدكتوراة وكان أكثر الطلاب قضاة، فأنا وأنا أشرح أحدهم -وهو أكبرهم سنًا فوق الخمسين، وأكبرهم منزلة، إذا بعيني تقع عليه وهو يربط عمامة الذي أمامه في الكرسي، فنظرت إليه مبتسمًا، فنظر إلي وقال والله يا شيخ السر في الكرسي، في الصباح نحن قضاة وإذا جلسنا علىٰ هذه الكراسي ما أدري ماذا يحدث بنا، نصبح طلابًا.

إذن هذا واقع الحال، والله سُبْحَانَهُ وصف العباد بأنهم يعملون، ورتب علىٰ ذلك الثواب والعقاب، قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فجعل عملها الصالح كسبًا لها، وجعل عملها السيء اكتسابًا عليها، فالله خلق أعمال العباد وهي واقعة من العباد، والعباد لهم قدرة علىٰ أعمالهم وقوة عليها، لكنها تحت مشيئة الله الكونية والقدرية، فالعباد لهم قوة، قال تَعَالَىٰ: فينظروا ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وللعباد استطاعة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦. وللعباد مشيئة تحت مشيئة ربهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، والعبد يجد من نفسه يقينًا أنه إن أراد النظر فتح عينيه.

يا أخوة لو أن واحدًا منا أراد النظر وما انفتحت عينه ماذا يظن؟ يظن أنه أصيب بالعمىٰ، يدرك يقينًا أنه إن أراد النظر فتح عينيه، وإن أراد عدم النظر أغمض عينيه، هل مرة يا إخوة أردت أن

تغمض عينك فأغلقت واحدة وبقيت الثانية مفتوحة؟ لا يحصل، بإرادة العبد التي خلقها الله وجعلها في عبده يفعل ويترك، وكل عاقل يجد هذا من نفسه، لا يحتاج إلىٰ كثرة تقرير للأدلة، كل واحد منا يعلم أنه إن أراد أن يأتي إلىٰ القاعة أتىٰ وإن لم يرد جلس في الغرفة، ما في شيء يجذبك مثل المغناطيس وفجأة تجد نفسك في القاعة، تريد وتقوم وتسير وتصل؛ ولو ما أردت نمت علىٰ السرير، وإن خفت من المراقب نمت تحت السرير. أنا كنت عميد شؤون الطلاب في الجامعة فترة، وأعرف ما يفعله الطلاب في السكن، بعضهم كان في صلاة الفجر يكسل أن يذهب إلىٰ المسجد ويصلي في الغرفة، وإذا سمع بحركة المشرفين يدخل في الدولاب.

إذًا هذا الدليل الوجودي الواقعي بيّنٌ جدًا، وهناك أمور ليست تحت إرادة العبد، لا تتعلق بفعله الاختياري مثل مثلًا الإنسان إذا نام أغمض عينه، هو ما يستطيع أن يفتح عينيه وهو نائم، ما يستطيع، العينان تُغمضان وقت النوم، حركة العين هذه التي تُحمىٰ بها العين، هذه ليس للإنسان فيها إرادة، يعني هي تتحرك، يعني لم تتعلق بها إرادة الإنسان، الإنسان يدرك أنه إن أراد الصلاة صلىٰ، وإن أراد ترك الصلاة ترك الصلاة، ومشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ شاملة، كما سمعنا، قال ربنا: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. فالعباد عندهم قدرة، وعندهم إرادة، فإذا وُجدت عندهم القدرة التامة والإرادة الجازمة من العبد وانتفت الموانع فعلوا أو تركوا إلا أن يشاء الله شيئًا. وهذه القدرة والإرادة من العبد قد خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو سُبْحَانَهُ المعطي والسالب، يعطي بحكمة ويسلب بحكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ألا ترىٰ أن الإنسان قد يمشي فترة من عمره إذا أراد أن يقوم قام، إذا أراد أن يمشي مشىٰ، الله هو الذي خلق له هٰذَا، والله هو الذي أعطاه هٰذَا، فهي هبة من الله. ثم قد يصاب بحادث فيصاب بشلل، ما يستطيع أن يمشي، الذي سلب هذا منه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. إذًا نؤمن أن للعبد قوة وإرادة وقدرة، وهذه قد خلقها الله ووهبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأهل السنة في هذا الباب العظيم وسط بين طرفين منحرفين: أحدهما قال ليس للعبد إرادة مطلقة، والآخر قال إن مشيئة العبد تغلب مشيئة الله. وما سلم إلا أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

ولذلك قَالَ: (وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء) سُبْحَانَ اللهِ! الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، علم أزلًا من يستحق الضلال، فأضله بعدله، وهدىٰ من شاء بفضله، والله لولا الله ما اهتدينا، نحن مثلًا في هذا البلد نعيش في وسط أناس كثير، منهم من لم يعرف الله، ومنهم من انحرف إلىٰ فرق مخالفة للحق، ما ميزتنا؟ الله أنعم علينا وهدانا إلىٰ الإسلام، وهدانا في الإسلام إلىٰ السنة والتوحيد ومنهج السلف، والله لولا الله ما اهتدينا، والله لولا الله ما صمنا، والله لولا الله ما صلينا؛ فلا يخرج أحد عن مشيئة الله، لكن الله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله.

ولذلك قال الشيخ: (لا حجة لمن أضله الله عَزَّ وَجَلَّ ولا عذر) ليس لأحد أن يحتج علىٰ ضلاله بأن الله قد أضله، ولا عذر له في هٰذَا، فإنه -كَمَا تَقَدَّمَ- في عقيدة أهل السنة والجماعة المحكمة أن الله خلق العباد وأفعالهم، ولا يخرج شيء عن مشيئته إلا أن العباد لهم إرادة واختيار، ولذلك قلت مرارًا وتكرارًا من احتج علىٰ الذنوب بالقدر فاصفعه علىٰ وجهه، فإذا لامك فقل: لا تلمني، قد قدر الله علي أن أصفعك، وهو لن يرضىٰ بهذا ولن يسلم، ولذلك أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يقولون القدر يُحتج به في المصائب ولا يحتج به في المعايب، في البلاء أو المصيبة التي تنزل علىٰ الإنسان يحتج بالقدر، يقول: قدر الله علي كذا؛ أما في المعايب فلا يحتج الإنسان بالقدر، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، (وقال: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ - فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: ٢٩ - ٣٠]). (وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف: ١٧٩] وقال: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد: ٢٢])، قَالَ: (ومعنىٰ "نبرأها" أي نخلقها وبلا خلاف في اللغة، وقال مخبرًا عن أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ} [الأعراف: ٤٣]) أي أن الله تفضل علينا فهدانا هداية التوفيق، الله قد هدىٰ العباد هداية الدلالة والبيان، وهداية التوفيق والإذعان لمن شاء له الهداية. هداية الدلالة والبيان لكل العباد، كل العباد قد هداهم الله هداية الدلالة والبيان، بكتابه وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يبقىٰ لأحد حجة. وهدىٰ من شاء هدايته بهداية التوفيق فضلًا منه وإحسانًا وإعانةً

منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، (وقال: {أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد: ٣١] وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود: ١١٨ - ١١٩]).

قَالَ: (ويقولون إن الخير والشر والحلو والمر، بقضاء من الله عز وجل، أمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله) من الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من الله تَعَالَىٰ. وأهل السنة والجماعة مطبقون علىٰ هٰذَا، ففي حديث جبريل المشهور في قوله: «فأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ» قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ»، فقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صَدَقْتَ»، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يُؤمِنُ عَبدٌ حتىٰ يُؤمِنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّه»، وقد جاءت في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ زيادة: (حلوه ومره)، وهذه الزيادة عند ابن حبان، إِلَّا أن فيها ضعفًا، لكنها واردة علىٰ لسان السلف ومعناها صحيح، فالخير ما يلائم الإنسان وينفعه ويصلحه، والشر ما يضر الإنسان ويفسده، والحلو هو المحبوب، والمر هو المكروه؛ كله بقضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ما تقدم بيانه في مراتب القدر.

وانتبهوا يا إخوة! تقدير الله لا ينقسم إلىٰ خير وشر، بل هو خير كله، تقدير الله خير كله، إذ فيه الحكمة التامة، فليس في تقدير الله شر، وإنما الشر في المقدور، ليس في أفعال الله شر، وإنما الشر في المفعولات، فالشر ليس إلىٰ الله كما قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله قدر الشر والخير، وليس في تقديره شر، وإنما هو شر من جهة فعل الإنسان، فتقدير المعاصي خير، والمعاصي في نفسها شر، تقدير الله للمعاصي خير لأنه عن حكمة تامة، والمعاصي نفسها شر، وتقدير المصائب خير، والمصائب نفسها شر؛ فإذا عرفت هذا تنحل لك المسألة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. (ظهر الفساد في البر والبحر) تقديرًا من الله، (بما كسبت أيدي الناس) بسبب ما اكتسبته أيدي الناس، ما الحكمة؟ ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون. يا إخوة كم من شخص هارب عن باب الله ردته المصائب إلىٰ باب الله! كم من شخص ما كان يصلي مات ولده فأصبح من الذين يلازمون المسجد! فتقدير الله خير وإن كانت المصيبة ذاتها شرًّا. ولذلك يا إخوة المصيبة لا تُطلب لكونها

شرًّا، لكنها إذا وقعت رجىٰ العبد فيها الخير، رجىٰ أن تكفر ذنبه، رجىٰ أن تعيده إلىٰ ربه، رجىٰ أن ترفع بها منزلته في الجَنَّة.

وأضرب مثالًا قريبًا؛ مثلًا موت الطفل الصغير؛ موت الطفل الصغير مصيبة، وفيه خير إن وقع، فإن الصغير يشفع لوالديه حتىٰ يأخذ بأيديهما حتىٰ يدخل الجَنَّة، ثم هو قد ارتاح من الدنيا ومن مصائبها، وإن كان لمسلمين فهو في الجَنَّة، انظروا إذا نظرت إليه بهذا النظر كم فيه من خير! لكنه خير لا يُطلب، ما يشرع للإنسان يقول اللهم ارزقني طفلًا وأَمِتهُ؛ ما يشرع! لكنه إذا وقع فتقدير الله خير، وإن كانت المصيبة حارة، وإن كانت المصيبة شرًا، فتقدير الله فيه حكمة، وفيه منحة، وفيه نعمة، ولهذا تقدير الله كله خير.

قَالَ: (وإنهم فقراء إلىٰ الله عز وجل، لا غنىٰ لهم عنه في كل وقت) لا شك أن العباد فقراء لله فقرًا دائمًا، وأن الله غني عن العباد غنًى مُطْلَقًا، والله يا عبد الله إنك فقيرٌ إلىٰ الله في كل ثانية، هذا النفس الذي تتنفسه وتقوم به حياتك إنما هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لو وقف قليلًا مت، فأنت فقيرٌ إلىٰ الله دائمًا، والله غني عنك وعن كل الخلق غنًى مطلقًا، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فغنىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن عباده غنىٰ مطلق، لا ينفعه منهم شيء وإن اجتمعوا عليه، ولا يضره منهم شيء ولو اجتمعوا عليه، والعباد كلهم فقراء إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وأنه عز وجل ينزل إلىٰ السماء الدنيا) أي الدنيا (علىٰ ما صح به الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بلا اعتقاد كيف فيه) أهل السنة والجماعة متفقون علىٰ اعتقاد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينزل إلىٰ السماء الدنيا في كل ليلة، يعتقدون ذلك بقلوبهم، ويقولونه بألسنتهم، ويحرصون علىٰ الدعاء في الثلث الأخير من الليل رجاء أن يجيب الله دعاءهم، وهم علىٰ يقين من ذلك، لا يشبهون الله بخلقه، ولا يسألون عن ذلك بـ (كيف) استغرابًا ولا استفهامًا، أبدًا، لا يخطر ببال أحدهم أن يقول كيف ينزل ربي؟ ولا أن يذكر مسائل في ظنه تمنع ذلك، فما دام أنه صح الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا بما صح به الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا،

حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيقولُ: مَن يَدْعُونِي فأَسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأَغْفِرَ له»، وآخر الحديث يا إخوة يقطع كل تأويل، فلا يقول هذا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يمكن أن يقال إن الذي ينزل ملك، كيف يقول الملك: (من يدعوني)، لا يمكن أن يقال أن الذي ينزل أمر الله، وأمر الله ينزل في كل وقت، وإنما ينزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نؤمن بهذا ونعتقد هٰذَا، ولا نسأل عما لم يخبرنا به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الله أكبر من أن نحيط به علمًا، لا نعلم إلا ما أخبرنا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونحن نعلم أن ربنا علىٰ كل شيء قدير، لا يُشبَّه بأحدٍ من خلقه أبدًا، ولا يقاس بخلقه، كل من يرىٰ امتناع ذلك قاس الله علىٰ المخلوقين؛ تَعَالَىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قَالَ: (ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عَزَّ وَجَلَّ في القيامة دون الدنيا) نعم! عقيدة أهل السنة والجماعة أن رؤية الله بالأبصار في الدنيا غير واقعة، ولو كانت تنبغي لأحد لكانت لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سألها، ولمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أُسري به، والعلماء يقولون لا يُرَىٰ الباقي بالفاني، الله سُبْحَانَهُ الباقي والعين في الدنيا فانية، فلا يُرَىٰ الباقي بالفاني، فالعيون في الدنيا فانية، فليست مؤهلة لرؤية الله تَعَالَىٰ، وليس عندها القوة علىٰ أن ترىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ هذا من وجه.

كما أن الدنيا ليس الدار نعيم، ورؤية الله أنعم النعيم، ولذلك لا تكون في الدنيا، ولذلك قال الله لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالدنيا دار عمل، ولذلك يا إخوة كان ألذ ما في الدنيا عبادة الله؛ لأن الدنيا دار عمل، وخير ما في العمل عبادة الله، فكان ألذ ما في الدنيا عبادة الله، النعيم في الدنيا هو عبادة الله، في عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن تصلي لله مخلصًا، أن تصوم لله مخلصًا، أن تدعو إلىٰ الله مخلصًا، هذا النعيم، والله ليس النعيم الحقيقي ما في أيدي الملوك والأغنياء؛ هذا متاع، أما النعيم الحقيقي فهو في عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. إذًا يا إخوة الدنيا دار عمل، وألذ ما فيها هو خير العمل وهو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والآخرة دار نعيم وجزاء، وأنعم ما فيها رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقد اتفق أئمة المسلمين علىٰ أن أحدًا ير الله في الدنيا، ولم يختلفوا قط إلا في نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني اتفق أئمة المسلمين علىٰ أن أحدًا لم ير

الله في الدنيا، وإنما اختلفوا في نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد وقع الخلاف في رؤيته ربه بالبصر؛ والذي عليه جماهر العلماء وهو الصواب أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأىٰ الله ببصره، وقد قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أراهُ»، وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعلَّموا أنَّه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربَّه حتىٰ يموتَ»، كما عند مسلم في الصحيح. واتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة، ويرونه في الجنة عيانًا بأبصارهم، رؤيةً واضحة ليس فيها اشتباه، ويقوِّي الله أبصارهم حتىٰ تقوىٰ علىٰ ذلك. قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. والمؤمنون يرون الله في الجَنَّة، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَىٰ: تُرِيدُونَ شيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أَحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلىٰ رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ» رواه مسلم في الصحيح.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابًا له في الآخرة، كما قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ - إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال في الكفار: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه، كانوا جميعا عنه محجوبين) وهل الكفار يرون ربهم يوم القيامة؟ طبعًا هذا السؤال لا يرد علىٰ رؤية الله في الجنة لأن الكفار لا يدخلون الجَنَّة، لكن هل الكفار يرون الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة؟ لأهل السنة في هذا ثلاثة أقوال:

القول الْأَوَّلُ: أن الكفار جميعًا لا يرون الله يوم القيامة فهم محجوبون عن رؤية الله، وعلىٰ هذا أكثر أهل السُّنَّة.

القول الثَّانِي: أنه يرىٰ الله من الكفار المنافقون خاصة، ثم يحتجب الله عنهم؛ يعني يقولون المنافقون يكونون مع المؤمنين فيرون الله، ثم يتميزون عن المؤمنين فيحتجب الله عنهم.

القول الثَّالِث: أن الكفار يرون الله يوم القيامة لكن رؤية تحسير وتعذيب.

وكما قلنا أكثر أهل السنة والجماعة علىٰ أن الكفار لا يرون ربهم مُطْلَقًا لهذه الآية.

قَالَ: (وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله عَزَّ وَجَلَّ ولا التحديد له، ولكن يرونه جل وعز بأعينهم علىٰ ما يشاء هو بلا كيف) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تحيطه الأبصار، يراه المؤمنون بغير إحاطة، وكما تقدم إثبات الصفات لا يقتضي التجسيم، ولا يقتضي التشبيه، ولا يقتضي التمثيل.

قَالَ: (ويقولون إن الإيمان قول وعمل ومعرفة) هذه عقيدة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، وإن اختلفت ألفاظهم فهي تعبر عن معنىٰ واحد، فهو اختلاف في التعبير والمعنىٰ واحد. قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة علىٰ أن الأعمال من الإيمان) إلىٰ أن قَالَ: (وقالوا الإيمان قول وعمل وعقيدة). وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ» رواه مسلم في الصحيح.

قَالَ: (يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) هذا الأصل الثاني من أصول أهل السنة والجماعة في الإيمان، وقد اشتهر عن الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ أنه يقول: (إن الإيمان خمس نونات: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان) فجمع الشيخ بين هذين الأصلين المميزين لأهل السنة والجماعة عن غيرهم في باب الإيمان، هذا الأصل ينبني علىٰ الذي قبله، فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقد نقل ابن عبد البر وغيره إجماع أهل الفقه والحديث علىٰ أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد كان السلف يستغربون الشك في هٰذَا، قيل للربيع بن سليمان -وهو تلميذ الشَّافِعِيّ-: (أليس تقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؟) فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللهِ! ومن يشك في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص! وكيف لا يزيد الإيمان وينقص والذي في القلوب يتفاضل!) يجد الإنسان في قلبه أحيانًا قوة كبيرة، وأحيانًا يجد ضعفًا، والذي في قلوب الناس يتفاضل جدًّا كما في الإخلاص، قد يصلي ألف في مسجد واحد، الذي في قلوبهم متفاضل في قوة الإخلاص وضعفه، وكيف لا يزيد الإيمان وينقص والأعمال من الإيمان! ونحن نرىٰ رأي العين أن الناس يتفاضلون

في الأعمال، فمن الناس مثلًا في الصلاة من يقتصر علىٰ الصلاة المفروضة، ومن الناس من يصلي السنن الرواتب مع المفروضة، ومن الناس من يقوم اَللَّيْل ويوتر، فهؤلاء ليسوا علىٰ درجة واحدة، بل هم متفاضلون، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

والإيمان يا إخوة يزداد في فرعين: في كماله الواجب، وفي كماله المستحب. وينقص كذلك في كماله الواجب وكماله المستحب؛ يزيد وينقص. وقد يضعف الإيمان حتىٰ يذهب.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (من كثرت طاعته أزيد إيمانًا ممن هو دونه في الطاعة) وهذا أمر واضح بيِّن.

قَالَ: (ويقولون إن أحدًا من أهل التوحيد ومن يصلي إلىٰ قبلة المسلمين، لو ارتكب ذنبًا، أو ذنوبًا كثيرة، صغائر، أو كبائر، مع الإقامة علىٰ التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله الله، فإنه لا يكفر به، ويرجون له المغفرة) أهل السنة والجماعة مع قولهم إن الأعمال من الإيمان لا يُكَفِّرون من ثبت إيمانه ووُجدت فيه حقيقته، ولذلك قال الشيخ: (إن أحدًا أهل التوحيد ومن يصلي إلىٰ قبلة المُسْلِمِيْنَ) هذا الذي وُجد فيه الأمران: التوحيد، والصلاة؛ أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أنه إن وافىٰ بذنوب -كبيرة أو صغيرة- أنه لا يخلد في النَّار، لا يخلد في النَّار، من كان موحدًا مصليًا بإجماع أهل السُّنَّة، وإن وافىٰ بذنوب فإن الله قد يغفر له ويدخل الجنة ابتداءً، وقد يعاقبه بذنبه ثم يخرج ويدخل الجنة انتهاءً، فلا يُكّفِّرون، الموحد المصلي بذنب يرتكبه، ولا يخرجونه عن أخوة الإسلام، لكن يقولون هو مؤمن ناقص الإيمان، نخشىٰ عليه العقاب ونرجو له المغفرة؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ففعل الإنسان الموحد المصلي للذنوب التي لم تدل الأدلة علىٰ أنها كفر لا يخرج به عن ملة الإسلام، ولا يلزم به دخوله النَّار، ولا يخلد به في النَّار، لكنه علىٰ خطر عظيم، وأهل السنة والجماعة كما قلت لا يسلبون عنه اسم الإيمان، ولكن يقولون هو مؤمن ناقص الإيمان. وانظر إلىٰ العبارات الدقيقة، قَالَ: (ويقولون إن أحدًا من أهل التوحيد ومن يصلي إلىٰ قبلة المسلمين) حتىٰ يحكي الإجماع، (لو ارتكب ذنبًا، أو ذنوبًا كثيرة، صغائر، أو كبائر) ثم انظر إلىٰ قوله (مع الإقامة علىٰ التوحيد لله) يعني لو جاء بكفر، لو جاء بشرك أكبر يخرج عن هٰذَا. (والإقرار بما التزمه وقبله عن الله فإنه لا يَكفُرُ به أو لا يُكّفَّرُ به) يصح هذا ويصح هٰذَا، (ويرجون له المغفرة).

ثم قَالَ: (واختلفوا في متعمدي ترك الصلاة المفروضة حتىٰ يذهب وقتها من غير عذر) هنا انتقل إلىٰ خلاف أهل السنة والجماعة في أمر واحد، وهو من ترك الصلاة مُقِرًّا بوجوبها متكاسلًا عن فعلها، هل يكفر بهذا الذنب أم أنه كسائر الذنوب الأخرىٰ يكون تحت المشيئة؟ فمقصود الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ أن أهل السنة مع اتفاقهم علىٰ أصول الإيمان اختلفوا في هذه المسألة، لا لأصل فاسد عندهم وإنما للأدلة بحسب فهمهم لها. مسألة تارك الصلاة يا إخوة كسلًا أهل السنة والجماعة عندما تكلموا فيها إنما تكلموا تبعًا للأدلة، وأما أهل الأهواء فتكلموا لأصولهم الفاسدة، ولذلك من فقه ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ أنه لما ذكر مسألة ترك الصلاة كسلًا (وهل يكفر تارك الصلاة كسلًا) قسم الأمر إلىٰ قسمين: كلام أهل السُّنَّة، وكلام أهل البدعة، لم؟ لأن أهل السنة يبنون علىٰ الأدلة مع صحة أصولهم، وأهل البدعة يبنون علىٰ أصولهم الفاسدة أصلًا، وهو أن العمل ليس من الإيمان، والصلاة عمل، إذن لن يكفر تاركها عندهم.

ونفهم من هذا يا إخوة -هذه فائدة عظيمة نفيسة- أن من خالف في بعض المسائل مع صحة أصوله العقدية كأصول الإيمان، وإنما خالف لنظره في الأدلة لا يُرمىٰ بأنه مرجئ، ولا يُطعَن في عقيدته، وإنما يكون الناس المختلفون في مثل هذه المسألة تبعًا للأدلة ما بين مصيب مأجور أجرين، ومخطئ مأجور أجرًا واحدًا. بعض الناس قد يأتي لإمام من أئمة المسلمين ويجد في كلامه ما يرىٰ أن فيه خللًا، مباشرة يقول هذا مرجئ، هذا من المرجئة، هذا وافق المرجئة؛ ولا ينظر إلىٰ ما ينظر إليه أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وهو لماذا قال هٰذَا، أهل السنة والجماعة يقولون لم قال هٰذَا؟ فاذا كانت أصوله صحيحة يقرر ما يقرره أهل السنة والجماعة من أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقال القول للأدلة، لقول الله ولقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولآثار الصَّحَابَة، فإنهم لا يطعنون في عقيدته ولا يرمونه بالمعايب التي تُرمىٰ بها الفرق. أما إذا كان بنىٰ كلامه علىٰ أصل فاسد فمن بنىٰ علىٰ الأصل الفاسد أُلحق به حكم أهل الأصل الفاسد.

وهذه مسألة مهمة جدًّا يا إخوة، وأصلًا يا إخوة والله لا ينبغي لإنسان أن يدخل نفسه في أمر غير لازم له، فإن السلامة لا يعدلها شيء. يا إخوة لا يلزم بلدكم لماذا تستوردونه! أمر ما يلزم بلدكم ولا يحتاج إليه بلدكم لماذا تستوردونه!؟ أمر لا يلزمك أن تتكلم فيه فلماذا تتكلم؟ ولماذا

بعض إخواننا ينشبون في حلوق إخوانهم: ماذا تقول فيه كذا؟ يا أخي أنا.. لا! لا بد أن يكون لك موقف؛ هذا غير صحيح، إلا فيما يجب شرعًا، فإلزام الناس بما لا يلزم هذا ظلم. ثُمَّ لا ينبغي لطلاب العلم أن يهجموا علىٰ ما هو من حق العُلَمَاء؛ بعض الأحكام والكلام مثلًا في النوازل، وبعض الأحكام العظيمة والتي تترتب عليها أمور خطيرة، هذا من حق العُلَمَاء، أما طالب علم ربما قرأ كتابًا أو كتابين أو كان عند الشيخ مقبل لمدة شهر أو شهرين، أو عند الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ لمدة شهر أو شهرين، أو في المدينة لمدة شهر أو شهرين، ثم ظنه شَيْخُ الإِسْلَامِ، يهجم علىٰ ما يتحرز العلماء عن الهجوم عليه! هذا يا أخوة لا ينبغي. أنا لا أعيبه ولكني أوجهه، لا ينبغي للإنسان أن يقحم نفسه فيما لا يلزمه، والسلامة لا يعدلها شيء، فهذه القضية مهمة.

ثم لا يجوز الحكم إلا وقد أحكم الإنسان أصول الحكم؛ يا أخوة إذا كان القضاء في شاةٍ وفي دجاجة لا بد فيه من إتقان أصول الحكم فكيف بالحكم علىٰ دين الناس!؟ كيف بالحكم علىٰ سلامة العقيدة!؟ كيف يتقحمه من لا يحسن أصول الحكم!؟ ثم تتفرق الكلمة، ثم تضعف الدعوة، ثم يشتغل الناس عن الدعوة إلىٰ الله بما يكون بينهم. لا بد يا إخوة من أن يكون.. وأنا دائمًا أقول الإنسان لا بد له من أربع عيون، ما تكفيه عينان، لا بد من أربع عيون: العلم، والعدل، والعقل، والعاطفة؛ لا بد من هذه العيون الأربعة. لا بد من علم حتىٰ يستبصر، ولا بد من عدل حتىٰ لا يظلم، ولا بد من عقل فإن العقل يحكم الأمور والشرع حاكم علىٰ العقل، والعاطفة؛ فإن الجامدة حتىٰ يخرج عن كونه إنسانًا لا بد من عاطفة ولكنها عاطفة رشيدة يقيدها العقل، ليس كل ما دعت إليه العاطفة يتبعه الإنسان، بل ينتقل من عاطفته إلىٰ عقله، وليس كل ما يدعو إليه العقل يتبعه الإنسان، بل ينتقل من عقله إلىٰ علمه، ويحيط كل ذلك بالعدل. فينبغي لكل واحد منا أن يتنبه لهذه القضية العظيمة.

أقول قد اتفق العلماء علىٰ أن تارك الصلاة جاحدًا لوجوبها يكفر، وإنما اختلفوا فيمن أقر بوجوبها وتركها كسلًا وتهاونًا هل يكفر؟ ولذلك قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ: (واختلفوا في متعمدي ترك الصلاة المفروضة حتىٰ يذهب وقتها من غير عذر) ومن غير إرادة فعلها بعد الوقت، (فكفره جماعة) من أهل السنة (لما روي عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « (بين العبد وبين

الكفر ترك الصلاة) » وقوله: « (من ترك الصلاة فقد كفر) » و: « (من ترك الصلاة فقد برأت منه ذمة الله)») حديثان، وليس المراد الآن أن نتكلم عن الأحاديث ودلالاتها، لكن المقصود هنا يا إخوة أن الذين كفروا تارك الصلاة كسلًا هم من أهل السنة وَالْجَمَاعَة، فلا يقال عن من ترجح عنده أن تارك الصلاة كسلًا يكفر لا يقال إنه مكفِّر، ولا يقال إنه متشدد؛ كما نسمع الآن بعض العبارات، يرمون بعض مشايخنا بأن عندهم تشددًا، وأنهم يكفرون، ويذكرون هذه المسألة، وهذه المسألة معروفة عند أهل السنة وَالْجَمَاعَة، ويذكرها أهل السنة والجماعة منسوبة إلىٰ أهل السنة والجماعة بطرفيها، بقوليها.

قَالَ: (وتأول جماعة) قال أكثر العلماء إن تارك الصلاة كسلًا عاصٍ مرتكبٌ لكبيرة وعلىٰ خطر عظيم، غير أنه لا يكفر. وتأولوا الأحاديث الواردة في ذلك، ولذلك قال الإسماعيلي: (وتأول جماعة منهم أنه يريد بذلك) أي أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد بذلك (من تركها جاحدًا لها فإن الترك قد يطلق علىٰ الجحود. (قال يوسف عليه السلام: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ} [يوسف: ٣٧]) يا إخوة هل كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ ملة القوم الذين لا يؤمنون بالله ثم ترك؟ لا، قطعًا لا، إذًا الترك هنا له معنىٰ. فالمقصود أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن قد تلبس بالكفر الذي كان عليه القوم الذين لا يؤمنون بالله، لكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك كفرهم بجحوده له، فالترك قد يُقصد به الجحود، يعني هذا وجه ذِكر الآية هنا، الدلالة علىٰ أن الترك قد لا يقصد به المفارقة، وإنما يقصد به الجحود، فمن جحد فعل قوم وأنكر فعل قوم فقد تركه.

ولعلنا نقف عند هذه المسألة، وغدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سنأخذ مجلسين. وإن شاء الله نسير علىٰ الطريقة التي بدأنا بها، يعني نختصر اختصارًا مفيدًا لا يخل بالمقصود، ونحرص فيه علىٰ الفوائد المفيدة لطلاب العلم. وهناك مسائل لن نقف معا طويلا؛ لأنها يعني يسيرة جدًا وسهلة الفهم، فإن شاء الله غدًا في مجلسين نختم شرح هذا الكتاب. ثم إذا بقي وقت نجيب عن الأسئلة إِنْ شَاءَ اللهُ، ولكن تكون الأسئلة مكتوبة، يعني من عنده سؤال يكتب مثلًا ويسلمه للشيخ علي مصري أو الشيخ سالم غانم؛ اسم جميل سالم غانم هٰذَا، سلامة وغنيمة. فمن عنده سؤال يكتبه

ويسلم إِمَّا للشيخ علي باعتبار أنه معكم وكذا أو الشيخ سالم، ثم الأسئلة تُعرض علي، فإن بقي وقت أجبت عنها إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يجعل هذا الوقت الذي اقتطعتموه من أوقاتكم خيرًا وبركة ونعمة عليكم وعلىٰ أهليكم، وأن يجعله سببًا لرضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنكم، وأن يجعلني وإياكم من عباده الصالحين العاملين بالكتاب وَالسُّنَّة، المتمسكين بالتوحيد وَالسُّنَّة، المنابذين للشرك والبدعة، وأن يجعلني وإياكم رحمةً علىٰ أمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا رحمةً علىٰ الأمة كما جعل نَبِيَّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمةً للعالمين، وأن يرزقنا نصيبًا من هٰذَا، وأن يجعلنا سببًا لقوة دعوة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، ودعوة التوحيد في هذا البلد، ونعوذ بالله نعوذ بالله من أن نكون سببًا لضعف دعوة التوحيد، ولضعف الدعوة إلىٰ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ علىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد.